قضية فلسطين والرواية العربية المعاصرة

فاضل عباس هادي

لم تعد أهمية الاعلام في العصر الحديث خافية على أحد وكذلك الدور الفعال الذي تمارسه وسائل الاتصال الجماهيري. وليس من الخيال القول بأن العمل الفني أو الادبي يلعب دوره في نشر الحقيقة وبالتالي المساهمة في ترويج الحس الانساني وتثبيت دعائم المجتمع البشري على أسس العدالة والمساواة . رغم أن هناك من يقول بأن الاسلوب المباشر في الاعلام أكثر فعالية من الاسلوب « الملتوي » وهو في هذه الحالة العمل الفني او الادبي المعقد والصعب على مدارك الانسان العادي . صحيح ان الادبيات السياسية منبع نستقي منه معلوماتنا عن مجريات الحياة السياسية اليومية . الا أنها قد تكون أحادية الجانب من حيث اهتمامها بالظاهرة السياسية وتركيزها عليها دون سواه . كما ان العمل الفني (اللوحة أو المنحوتة) او العمل الادبي (الشعر ، القصة ، الرواية) الذي يتناول، حسب قدرة الفنان او الكاتب وكل في مجاله، الظواهر الاجمالية او الحقيقة من أبعادها العديدة وما يمكن أن نسميه بالكلية totality يعتبر في نهاية التحليل الشهادة الكاملة على العالم المتعدد الجوانب ولظاهرة الانسان اجمالا . ان رصد الوضع الانساني من جوانبه المتعددة امتياز الابداع الحقيقي . والقضية الفلسطينية التي فرضت نفسها على العالم جزء لا يتجزأ من ظاهرة الانسان . وكل كاتب او شاعر او فنان عربي ينظر الى واقعه بمعزل عنها انما يحرم رؤياه من التكامل المنشود والرؤية المترابطة . ومن الملاحظ ان الكتاب والفنانين اخذوا يهتمون مؤخرا وبشكل واضح وأكيد ومركز بما يمكن ان نسميه « الجانب السياسي في الانسان » . وفي أوربا يعتبر بيتر فايس الكاتب المسرحي الالماني خير مثال . وفي اميركا نجد الروائية ماري ماكارثي تكتب عن فيتنام كتابا يفضح بربرية الساسة الامريكان وتضحيتهم بالانسان من أجل مثل زائفة ونورمان ميلر الراديكالي الذي نظم اكبر مسيرة احتجاج ضد الحرب الامريكية ضد الشعب الفيتنامي وأصدر كتابا مهما بعنوان « جيوش الليل » . الامثلة غفيرة ولا تحصى على مساهمة المبدعين ، ضمير الانسانية النابض الحي ، في الدفاع عن حقوق الانسان المغتصبة . فماذا قدم المبدعون العرب من مساهمة في قضيتهم الاولى . وهل يمنعهم الاستغراق الميتافيزيقي من التوجه الى اعتمالات البشر اليومية والحيف اللاحق بقطاع واسع ومهم من شعبهم العربي الفلسطيني ؟ لا نريد أن نكون من الجاحدين بمساهمات الكاتب العربي في القضية الفلسطينية الا أننا لا بد وان نشير الى ان مساهماتهم جاءت متأخرة الى حد كبير وفي المجالات الابداعية كافة من رسم ونحت وقصة وشعر .

فمن المتفق عليه ، تقريبا ، بين المهتمين بأصداء القضية الفلسطينية على الرواية العربية ان جورج حنا ، الطبيب اللبناني الماركسي كتب في سنة ١٩٥٢ اول رواية عربية عن محنة اللاجئين الفلسطينيين(١). والرواية وهي بعنوان « لاجئة » تمتاز بالسذاجة . ونعتبرها ساذجة لعدم وجود وصف أكثر دقة يمكن ان يعطي نفس المعنى بدون ان يشير الى نية القارىء المتمعن الذكي في توجيه اصبع الادانة . والرواية على بساطتها وبساطة محتوى